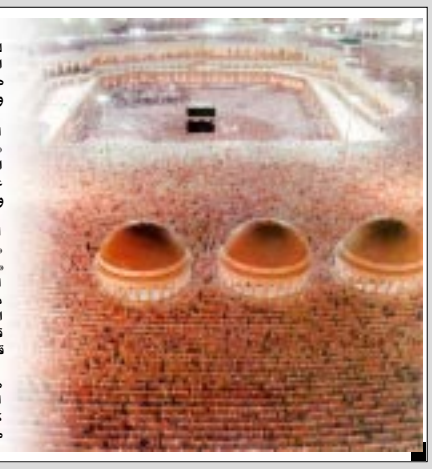

كيف تتجهز للحج..؟

محمد محمد المعافا

■ أولاً : التوجه القلبي الصادق واخلاص النية لله تعالى لقوله عز من قائل : «وما امروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء» او قوله : «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحدا» وقول النبي صلى الله عليه وسلم : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى.. الخ»

ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم في أعمال الحج من الاحرام والطواف والوقوف كما قال عليه الصلاة والسلام «خذوا عني مناسككم» وإن لم تحصل النية الصادقة ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فالعمل مردود لحديث ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من عمل عملاً ليس عليه امرنا هذا فهو رد» رواه مسلم.

ثانياً : التوبة النصوح من جميع الذنوب والمعاصي ورد الحقوق واداء الامانات الى أهلها فالمولى ينادي ويقول : «وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون» ويقول «ياايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً» فهي الرجوع الى علام الغيوب وستار الذنوب ومبدأ طريق المسالكين ورأس مال الفائزين بعفو رب العالمين والحاج وهو متوجه الى البيت العتيق في سفر طويل يخوض بعده غمار الزحام لاداء المناسك قد يتعرض للهلاك فلا بد من وجوب التوبة والرجوع الى الله قبل ذلك.

ثالثاً : تحري المال الحلال في نفقة الحج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ان الله طيب لايقبل إلاّ طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال تعالى : «ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً» وقال تعالى : «كلوا من طيبات مارزقناكم» ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب له» اخرجه مسلم.

واخرج الطبراني عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : اذا خرج الرجل حاجاً بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك.. ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مازور، واذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك غير مبرور».

اذا حججت بمال اصله سحت فما حججت ولكن حجت العير لا يقبل الله إلاّ كل طيبة ماكل من حج بيت الله مبرور.

رابعاً : اختيار الصحبة الصالحة وحسن الاصطحاب والتعرف الى بعض علماء الشرع للرجوع اليهم عند الحاجة لاسيما الحاج فهو محتاج الى الصحبة والعلماء المرشدين من حاجته الى المال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مايصنع من بؤم هذا البيت اذا لم يكن فيه خصال ثلاث، ورع يحجزه عما حرم الله، وحلم يضبط به جهله، وحسن صحابه لمن يصحب والا فلا حاجة لله بحجه» قال بعضهم : انما سمي السفر سفراً لانه يسفر عن اخلاق الرجال، وخير الناس انفعهم للناس واصبرهم على أذى الناس والحاج يحتاج الى مخالطة الناس والمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل ممن لايخالطهم ولايصبر على اذاهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم«الحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة، قالوا وما بر الحج يارسول الله» قال : اطعام الطعام وافشاء السلام وطيب الكلام».

خامساً : تامين النفقة للعيال خلال السفر فهم منك واليك قال عليه الصلاة والسلام «كفى بالمرء انما ان يضيع من يعول» فلابد من ترك مايكفيهم من المال حتى العودة ليسدوا به خلتهم ويقضوا به حاجتهم ويشبعوا به جائعهم ويكسوا به عاريهم فلا يكونون عالة على غيرهم ولايسئلون الناس الحافاً ولا بد ان تكون من الحلال كنفقة الحج.

سادساً : التسامح مع الارحام والجيران وغيرهم ووداعهم فإن الشحناء والتنافر والتباغض من مبطلات الاعمال ومحبطات الرحمة ومقترات الارزاق قال صلى الله عليه وسلم : «تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر لكل عبد لايشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين اخيه شحناء فيقول انظروا هذين حتى يصطلحا» وأنت وافد على الله وضيف قادم الى بيت الله العتيق فاولى بك الصفح والعفو والتسامح مع الاهل والارحام والجيران وان تدفع بالتي هي احسن وتتصف بصفات المتقين الذين قال الله فيهم : «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين»..

فليبادر كل مرشد الحج الى طلب العفو والسماح من اهله وارحامه وجيرانه وكل من يعرف من المسلمين، اللهم اجعلنا من الواقفين في صعيد عرفات وممن غفرت لهم وجعلت حجهم مبروراً وسعيهم مشكوراً وذنبهم مغفوراً.

آمين يارب العالمين..

الاسلام السياسي العربي في ظل التحولات

هل بدأت عملية الانحدار الجماهيري للحركات الاسلامية..؟

■ استقطبت الحركات الاسلامية منذ نهاية سنوات السبعين من هذا القرن اهتمام الدوائر السياسية، والاعلامية ثم لحقتها الدوائر الاكاديمية في الوطن العربي وفي العالم الغربي بخاصة.. اصبح الاسلام السياسي موضوع الساعة.. فاجهزة المخابرات ترصد حركاته وسكناته وتلتقي في مؤتمرات دولية من اجل محاصرته، والاعلام الدولي لا يخل عليه بصفحاته الاولى، واطروحات الدكتوراه والبحوث الاكاديمية وجدت فيه الموضوع المفضل الذي يشجع عليه اساتذة الجامعات طلبتهم حتى يعالجوه من كل جوانبه في الماضي وفي سنوات الستين كان الكل مهتما بالحركات الشيوعية في العالم وبحركات القومية العربية ناصرية وبعثية في الوطن العربي، وفي تلك الفترة من الزمن كانت حكومات كثيرة تشجع ضمنا او مباشرة الاسلام السياسي حتى يواجه معها هجمة اليسار الشاملة.

ريض الصيداوي

دور الغرب

وكان الغرب الرأسمالي مرتاحا كثيرا لبروز الحركات الاسلامية، حيث حدث اكبر لقاء بينهما في افغانستان.. اتحدا في مواجهة الاتحاد السوفياتي، وكان ذلك الي حين.. ومنذ انهيار الكتلة الشيوعية في بداية التسعينيات، انتبه الغرب الي ان حلفاء الماضي اصبحوا خطرا عليه وبالتالي يجب الحد من مدهم الجماهيري.. ونفس الحكومات العربية التي شجعته في الماضي القريب وجدت نفسها الآن في حالة مواجهة مفتوحة معه.. وحدثت عملية تفاعل سياسي اليمة مع الانظمة القائمة، يمكن تصنيف نتائجها الي اربعة اصناف.. اولا: نجح الاسلاميون بقيادة تحالف بين العسكر (الرئيس عمر حسن البشير) والجبهة القومية الاسلامية (حسن الترابي) في الوصول الي السلطة في بلد واحد هو السودان، لكن سرعان ما خيّب هذا النجاح آمال الاسلاميين حيث انتصر مفهوم مصلحة الدولة على مفهوم احلام الثورة وازاح العسكر حلفاءهم.. ثانيا: تعايش الاسلام السياسي مع بعض الانظمة مثل الكويت والاردن واليمن (حزب الاصلاح) وقطر.. ثالثا: تم استئصاله من خلال الردع الامني العنيف في بلدان اخرى كالعراق او سوريا او باكثر مرونة كتونس.. وفي الحالة الاخيرة تفشى العنف المسلح فتضايقت منه دول مثل مصر او ليبيا ووصل الي ما يشبه الحرب الاهلية في الجزائر التي مثلت مختبرا حدثت في تجربة غالية الثمن لما يمكن ان يصل اليه الصراع.

نوعان من الصراع

ان الصراع الذي تم انقسم الي نوعين: صراع سلمي حينما يتعلق الامر بحركات الاخوان المسلمين وصراع دموي عنيف حينما يتعلق الامر بالجماعات الاسلامية.. لقد تمزق الاسلاميون في الوطن العربي بين خيارين استراتيجيين متناقضين.. الخيار الاول يعتمد على مفهوم الاسلمة من القاعدة، في حين يعتمد الخيار الثاني على مفهوم الاسلمة من القمة.. هذا التقسيم وقع التفطن اليه والتنظير له من قبل بعض الباحثين الغربيين المهتمين بالحركات الاسلامية.. يعتبر عالم السياسة الفرنسي جان فرانسوا بايار اول من انتبه الي هذا التقسيم عندما ميز بين العمل السياسي من القمة والعمل السياسي من القاعدة.ثم طبقها فيما بعد على الحركات الاسلامية عالم الاجتماع الفرنسي جيل كيبيل وزميله المختص في الحركات الاسلامية اوليفيا روا اللذان ميزا بين اسلمة ثورية من القمة واسلمة اجتماعية من القاعدة.. يري كيبيل ان تطور الاحتجاج الاسلامي لم يتم في منهج خطي فهو ينبهنا الي تغيير في استراتيجية الحركات الاسلامية منذ سنوات الثمانين.. منذ هذه السنوات فضلت الحركات الاسلامية التي شدت انتباه السلطات ووسائل الاعلام (...) عملية الاسلمة من القمة.

المنهج السلمي

ان الاتجاه الذي يعتمد على الاسلمة من القاعدة يعكس دائما منهجا سلميا في العمل السياسي.. فهو يلفظ صراحة العنف ويؤمن بالتربية والتعليم اللذين لا بد ان يشملا كل السكان، كل طبقاتهم حتى ولو تناقضت اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.. فهم يهدفون على مدى بعيد الي امتصاص كل المعارضات التي تواجه مشروعهم الاسلامي.. ومن ثمة اسلمة المجتمع كافة، بما فيه مؤسسات الدولة مثل الجيش والشرطة والاحزاب السياسية والنقابات... يعتقد هذا ان الزمن سيلعب في نهاية المطاف لصالحه.. نجد لهذا الخيار تجسيدا في حركات الاخوان المسلمين خاصة في مصر والاردن وبعض دول الخليج وكذلك في حمس في الجزائر او حتى تيار الجزارة في الجبهة الاسلامية للانقاذ المنحلة.

الانقضاض العنيف

اما الخيار الثاني فيتعلق بالاسلمة من القمة.. هذه الاستراتيجية تعتمد على العنف المسلح للوصول الي السلطة، فهي تعتقد في الجهاد بعده المادي وليس الروحي.. وترى انه لا بد للحركات الاسلامية من الانقضاض على اجهزة الدولة حتى تؤسلم المجتمع بالعنف عنف الدولة المنظم على حد تعبير ماكس فايبر.. انها ترفض جاهلية المجتمع وتهدف الي اعادة صياغته طبقا لما تعتقده الشريعة الاسلامية.

تعتقد هذه الاستراتيجية انه يجب على الحركة الاسلامية، وهي حركة عالمية تهدف الي تاسيس ما يماثل امية اسلامية، ان تستخدم العنف حتى تستولي على السلطة متجسدة في اجهزة الدولة وخاصة القوات المسلحة والشرطة للتمكن لاحقا من بناء المجتمع الاسلامي.. فالدولة القهرية هي التي يجب ان تبني المجتمع الذي يناسبها وليس العكس.. لقد تاثرت هذه النزعة ـ الاستراتيجية بمفكرين معروفين، هما السيد قطب من مصر وابو الاعلى المودودي من باكستان.. فالخطاب القطبي يعتقد ان الجاهلية تمثل الانحراف عن نهج الاسلام ماضيا او حاضرا.. يقول السيد قطب: فنحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الاسلام او اظلم.. كل ما حولنا جاهلية... تصورات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم، موارد ثقافتهم فنونهم وآدابهم، شرائعهم وقوانينهم، حتى الكثير مما تحسبه ثقافة اسلامية ومراجع اسلامية وفلسفة اسلامية وتفكيرا اسلاميا... هو كذلك من صنع هذه الجاهلية.. ومن هنا يصبح خطاب الاسلاميين خطاب جهاد.. يرى السيد قطب ان الجهاد لا يجب ان يكون مقتصرا على دار الحرب بل لا بد ان يتعداه الي دار الاسلام عندما نجد ان الحاكم او السلطان لا يطبق قوانين الله.

اما ابو الاعلى المودودي فهو يميز بصرامة بين الجمهورية الاسلامية و الجمهورية الغربية.. ففي هذه الاخيرة تاتي السلطة من الجماهير: ان صلاحيات الحكم وتنفيذ الاوامر (...) هي من احتكار الجماهير التي تمسك بدواليب السلطة، تشرع الجماهير، وتطبق كل التشريعات التي تعرضها.. النتيجة ان هدف مثل هذه الحكومات سينحصر في افضل الحالات في البحث عن تعاطف جموع المواطنين الذين يشكلون السلطة اما في الاسلام فان السلطة ملك لله وحده.. واخيرا يعتقد ان الجماهير مجبرة في الاسلام على التشبث وتطبيق القوانين الشرعية المقدسة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم.. ومن جهة اخرى فإن اختيار الامير يجب ان يمر عبر معايير محددة سلفا بدقة مثل تقواه، معرفته الكاملة بالاسلام و قدراته على تصريف شؤون الحكم.

تأسيس منذ ١٩٢٨

من الضروري التنبيه الي ان عمليات الاسلمة من القاعدة، اي النهج الاخواني السلمي بدأت منذ سنة ١٩٢٨، اي سنة تاسيس جماعة الاخوان المسلمين في مدينة الاسماعيلية في مصر.. مضت تقريبا ٧٢ سنة على استخدام هذا النهج دون ان تصل الحركة الاسلامية الي الحكم في اي بلد عربي، وفي الاثناء تمكنت الحركات القومية العربية من الاستيلاء على السلطة في اكثر من بلد (مصر، سوريا، العراق، ليبيا، اليمن) بل حتى ان الشيوعيين وصلوا الي السلطة في بلد واحد هو اليمن الجنوبي.. هذه الاستراتيجية التي تعتمد على الصبر الطويل وجدت من يتمرد عليها من داخل الحركة نفسها حينما تشكلت تنظيمات الجماعات الاسلامية منذ السبعينيات لتتبنى نهجا جديدا، اي الاسلمة من القاعدة واختارت عوض الصبر والعمل الجهادي السلمي ان تنقض مباشرة على الحكم وتستولي على اجهزة الدولة التي تصبح وسيلة ناجعة في ايديها لاسلمة المجتمع بالقوة وفرض قيمها عبر احتكار العنف المنظم الذي تمتلكه اية دولة مهما كانت ايديولوجيتها.. ومن هنا رصدنا بداية العمليات العسكرية الدامية في مصر، المهد المبكر لنشاط الاسلام السياسي فحدثت سلسلة من الاعتبارات والانفجارات، توجت باغتيال الرئيس انور السادات نفسه في ٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨١ وفي مشهد مثير امام كاميرات التلفزيون التي نقلت وقائعه الى شتى انحاء العالم كانت البداية الحقيقية التي اعلنت ميلاد استراتيجية الاسلمة من القمة.

آمال جديدة

تغذت هذه الاستراتيجية في الواقع من عاملين حاسمين آثارا آمالا كبيرة لدى القائمين بها.. تمثل العامل الاول في نجاح الثورة الايرانية سنة ١٩٧٩.. هذا النجاح قدم نموذجا مثيرا لامكانية نجاح ثورة اسلامية والاستيلاء على اجهزة الدولة في سبيل بناء مجتمع اسلامي مثالي.. والعامل الثاني تمثل في صمود المقاومة الافغانية امام الاحتلال السوفياتي في مرحلة اولى والانتصار عليه في مرحلة ثانية.. وهو ما اعطى زخما هائلا لدينامية الحركات الاسلامية.. وكان الشعار لقد انتصرنا على اعتى قوة في العالم، فما الذي يمنعنا من الانتصار على حكومات محلية لا تمتلك مقدرات الاتحاد السوفياتي.. وعاد الافغان العرب الي بلدانهم حاملين معهم قصص البطولات والانتصارات ليقاتلوا ضد حكوماتهم واكتشفوا ان الحرب ضد حكوماتهم اقسى من الحرب ضد الاحتلال السوفياتي وان الانتصار هناك لا يعني الانتصار هنا.

نهاية الانبهار

يحدث الآن لدى الحركات الاسلامية ما يسميه ماكس فايبر بانحسار الانبهار بالعالم.. فالثورة الايرانية ادت الي تمرد الجيل الشاب الاصلاحي على شيوخه وقياداته الدينية الكلاسيكية ولولا ما أسسه الصراع عبر الانتخابات لانفجر الوضع ضد رجال الدين الحاكمين الذين هم في طور فقدان السلطة سلميا.. وبعد عشرين سنة من الحكم الاسلامي لم تحدث معجزة كما كانت تحلم الحركات الاسلامية فالاقتصاد ضعيف والمستوى المعيشي غير جذاب والتفاوت الطبقي بين اثرياء الدولة وفقراء الشعب يتراكم... اما العامل الثاني، اي نجاح حرب تحرير افغانستان، فإنها ادت بالحركات الاسلامية الي حيرة واضطراب كبيرين، منذ خروج الروس من هذا البلد والمجاهدون يتقاتلون فيما بينهم، ولا احد يدري من هو المجاهد الحقيقي ومن هو المرتد، طالبان ام اسد بنشير احمد شاه مسعود... فجاة اكتشفنا جميعا واقعا آخر في افغانستان: بلد شديد التخلف، يعاني من الفقر، ومنقطع عن اي معنى للحداثة وما زال يعيش طور الصراعات القبلية والاثنية، حيث تتقاتل القبائل كانها في حرب البسوس، كانها في عصر الجاهلية حيث لا نرى فرقا بين قاتل ومقتول باختصار انتهى الانبهار بافغانستان ولم تعد نموذجا بل اصبحت حجة مضادة وعبئا على الحركات الاسلامية في عملية التعبئة.

آفاق الديمقراطية

استفادت الحركات الاسلامية من فشل حركة القومية العربية في هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ لتقدم نفسها مشروعا بديلا لمشروع الحداثة الناصري.. وبعد تجربة عقدين من الزمن تجد نفسها في نفق مغلق.. ميزة فشل مزدوج فشل الاسلمة من القاعدة اضافة الي فشل الاسلمة من القمة.. ويبدو اليوم في الوطن العربي ان موجة الديمقراطية ستحل محل الموجة الاسلامية.. حيث هناك اتجاه عام ان لا حل لهذه الامة الا في العمل الدؤوب وفي العلم وفي اعطاء الجامعات دورا كبيرا في القرار وفي الديمقراطية التي ينبغي ان تهذب بقية الايديولوجيات الاخرى: قومية عربية او وطنية اسلامية او ماركسية.

المستهلك ووسائل حمايته في الاسلام

■ المستهلك هو من يستعمل المنتجات لإشباع حاجات إنسانية، سواء أكان الشيء موضوع الاستهلاك مما يفنى باستعمال واحد، كالماكول، والمشروب، والدواء، أو كان مما لا يفنى إلاّ باستعمالات متعددة، متتابعة، عن طريق الاندثار الجزئي، كالملبس، ووسيلة النقل والمشاهد والصور، في الواقع أو في وسائل الإعلام وغيرها.

وحماية المستهلك تعني استعمال المجتمع المسلم لوسائل شرعية تحفظ مصلحة المستهلك، الآنية والمستقبلية، في المواد، وفي المشاهد والصور، وفي أدوات المعرفة والتوجيه والإيحاء، وفي هذا السياق حرصت الحضارة الاسلامية على توفير الحماية اللازمة للمستهلك في كل هذه المجالات، يقول الإمام أحمد بن تيمية: (يأمر المحتسب بالجمعة، والجماعات. وبصدق الحديث، وأداء الأمانات، وينهى عن المنكرات كالكذب، والخيانة، وما يدخل في ذلك من تطفيف المكيال، والميزان، والغش في الصناعات، والبياعات، والديانات، ونحو ذلك). ويقول الإمام ابن قيم الجوزية: (يجب عليه (ولي الأمر) منع النساء من الخروج متزينات، متجملات، ومنعهن من الثياب التي يكن بها كاسيات عاريات، كالثياب الواسعة، والرقاق، ويقول أيضاً (لا ضمان في تحريق الكتب المضلة، وإتلافها).

في إطار هذا التصور الواسع للمستهلك، ولحمايته، يمكن معالجة حماية المستهلك من خلال فروع ثلاثة.

الفرع الأول ـ حماية مستهلك السلع والخدمات:

تتم حماية المستهلك للسلع والخدمات على مستويين: مستوى الإنتاج، ومستوى التسويق:

أ ـ فعلى مستوى الإنتاج، يُحمى المستهلك بتوفير الجودة في المنتج، وذلك لجنس الاختيار في المواد الخام، وباتقان التركيب والعمل الإنتاجي المتصل به، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه).

ويساعد على تحقيق الجودة توخي الإيمان في العامل، والخلق الاسلامي الرفيع، الذي يرفع العمل إلى مستوى العبادة لله تعالى، فيرتبط العامل بالله عز وجل، قبل أن يرتبط بالمشغل، يضاف إلى ذلك الاستفادة من التقدم العلمي والتكنولوجي، حتى يتم تدعيم الجودة بالاختصار في الزمن اللازم للإنتاج، الأمر الذي يترتب عليه انخفاض عدد الساعات اللازمة للانتاج، والتي هي إحدى مقومات السعر أو الثمن، وقد حث الرسول (صلى الله عليه وسلم) على أن ينفع المنتج الناس عن طريق تخفيض الكلفة، ومن ثم تخفيض السعر: (خير الناس أنفعهم للناس).

من جهة أخرى، تتم حماية المستهلك على مستوى الإنتاج بتجنب التمويل الربوي الذي يرفع دائماً من كلفة السلعة المنتجة، لأن سعر الربا أو الفوائد البنكية يتحملها في النهاية المستهلك، فيتعرض للظلم.

(يا أيها الذين آمنوا، اتقوا الله، وذروا ما بقي من الربا، إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون).

وبالمقابل، توجد عدة بدائل عن التمويل الربوي، وجدت المشاركة بتقديم رأس المال من عدة أشخاص طبيعيين أو معنويين، ووجدت المضاربة عند طريق التقاء رأس المال بالعمل في الإنتاج، ووجدت المرابحة ووجد غيرها مما يفي بالحاجة، ويساهم في استقرار الأسعار، ومنع التضخم، لأن زيادة النقد عندئذ ترتبط بزيادة الإنتاج حتماً، فلا يكون مجالاً للتضخم.

ب ـ أما على مستوى التسويق فحماية المستهلك للسلع والخدمات تتم من خلال طبيعة السوق الاسلامية، ومن خلال عدة ضوابط شرعية:

أولاً ـ طبيعة السوق الاسلامية:

السوق هي مكان التقاء العارضين والطالبين، وليست بالضرورة مكاناً قاراً، كما هي الحال بالنسبة لسوق المواد الغذائية والثياب، وقطع الغيار، وقد تكون سوقاً متنقلة، أو خاضعة للصدفة، كسوق الكراء حيث يلتقي المكري والمكتري على قارعة الطريق، أو في منزل المكري مثلاً.

وطبيعة السوق الاسلامية أنها سوق حرة، ليس فيها احتكار، لا في السلع، ولا في المعلومات عن الأسعار، لأن الاحتكار جريمة اقتصادية، حيث يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): (لا يحتكر إلا خاطئ).

من دخل في شيء من أسعار المسلمين، ليغلبه عليهم، كان حقاً على الله أن يقذفه في معظم من النار يوم القيامة.

وبذلك تتوافر المنافسة التي تتحدد بها الأسعار من خلال آليات الطلب والعرض، ومن خلال تلاقي شروط أطراف التداول دون تدخل مسبق للسلطة في تحديد الأسعار. فقد أباح (صلى الله عليه وسلم) لأطراف التداول أن يشترطوا ما شاؤوا: المسلمون على شروطهم، إلا شرطاً حرم حلالاً، أو أحل حراماً.

إن حرية السوق في الاسلام هي حرية منظمة بقواعد الشريعة التي تمثل شرط الله تعالى، فلا يدخل هذه السوق سلع محرمة، كالخمر، ولحم الخنزير، والتماثيل، والقروض الربوية، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول: (إن الله ورسوله حرما بيع الخمر، والميتة، والخنزير، والأصنام).

وكذلك للتداول آداب ملزمة، يجب على أطراف التداول مراعاتها بدقة، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول: (لا يسم المسلم على سوم أخيه) و (لا يبع الرجل على بيع أخيه).

فسوم الشخص على سوم أخيه منافسة غير مشروعة، فلا يدخل الثاني في المنافسة قبل أن ينصرف المساوم الأول، وكذلك بيع الشخص على بيع الآخر، بأن يقول: أبيعك أحسن مما اشتريت بنفس الثمن، أو بأقل منه.

إن شروط الله تعالى في التداول لها الأولوية: لأنها الإطار لشروط البشر، فالتبعية من شروط البشر لشروط الله تعالى هي معنى العبادة التي خلق الانسان من أجلها:

ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليس في كتاب الله، من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن اشترط مائة شرط، شرط الله أحق وأوثق.

لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به.

ثم هذه السوق تخضع لرقابة السلطة، لأن الدولة في الاسلام هي دولة العقيدة، عليها أن تراقب التزام الناس لمقتضيات العقيدة في الحياة اليومية على المستوى الاقتصادي وغيره:

(ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين).

بهذه الحرية المنظمة مسبقاً، والمراقبة لاحقاً، تفسير النصوص الواردة في منع تحديد الأسعار، وفي جوازه، فقد طلب إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يسعر السلع والخدمات في سوق المدينة، فأبى، وقال:

(إن الله هو المسعر، القابض، الباسط، الرازق، وإني لأرجو أن ألقى ربي وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال).

وقبل ذلك ربط القرآن حل التجارة بالتراضي في إطار قواعد الشريعة:

(ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم).

لكن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، رأى حاطب بن أبي بلتعة (رضي الله عنه) يخفض سعر سلعته عن سعر السوق، فقال له مهدداً: (إما أن تزيد في السعر، وإما أن ترفع من سوقنا)، وهذا ما حمل أئمة الفقه من أمثال أحمد بن تيمية أن يقول: (يتبين، أن السعر منه ما هو ظلم، لا يجوز، ومنه ما هو عدل جائز، فإذا تضمن ظلم الناس، وإكراههم لغير حق على البيع بثمن لا يرضون، أو منعهم مما أباحه الله لهم، فهو حرام، وإذا تضمن العدل بين الناس، مثل إكراههم على ما يجب عليهم من المعاوضة بثمن المثل، ومنعهم مما يحرم عليهم من أخذ زيادة على عوض المثل، فهو جائز، بل هو واجب).

المصدر: باختصار من رسالة التقريب العددان ٣٤ و ٣٥